اللغة والهوية في الجزائر...أي علاقة؟

(تأملات في آثار الإمام عبد الحميد بن باديس وعثمان سعدي)

The language and the Identity in Algeria…Which relationship?

(Meditation on the heritage of Imam Abdelhamid Iben Badis and Othmane Saadi)

ناجم مولاي[1,*]

[1]جامعة عمار ثليجي الأغواط (الجزائر)

تاريخ الاستلام : 16-05-2021؛ تاريخ المراجعة : 03-06-2021 ؛ تاريخ القبول : 31-03-2022

ملخص :

إذا كانت الهوية أوسع من اللغة، فإن اللغة هوية، وليست الهوية لغة. وبما أن الهوية لها تجليات عديدة غير اللغة فإن هذا البحث يهدف إلى الإجابة عن تساؤل هام: ما حدود العلاقة بين اللغة والهوية في الجزائر من خلال آثار كلاً من: "الإمام عبد الحميد بن باديس" و"عثمان سعدي"؟ وهو سؤال يستبطن في داخله إقرار بأن ثمة علاقة بينهما، والسؤال وما استبطنه يستدعيان الوقوف على جملة من التساؤلات التي ترتبط بتلك النقاط التي يلتقيان فيها اللغة والهوية في بلدنا الجزائر. والتي سيجب البحث عنها من مقدمته لنهايته.

الكلمات المفتاح : هوية؛ لغة؛ هوية لغوية؛ أصالة؛ أمة؛ وطنية؛ لغة عربية.

Abstract :

If the identity is wider than the language, so the language is an identity, but the identity is not a language. And since the identity has several aspects which are not exactly a language therefore this research aims at answering an important question: What are the relation limits between the language and the identity in Algeria, according to the heritage of Imam Abdelhamid Iben Badis And Othmane Saadi?

It is question that deduces in its internal side a confession which clears that there is a relation between them. The question and its deduction lead us to stop at a number of question which have a link with the points at which the language and the identity crossed in country Algeria. This research will answer them from the beginning to the end.

Keywords : identity ; language ; linguistic identity ; originality ; nation ; nationalism ; arabic language.

1- تمهيد :

كانت اللغة وماتزال مكوناً رئيسياً للهوية القومية لأي أمة، كما تعتبر المكون الرئيسي لهويات أخرى هي الهوية الثقافية أو الحضارية، ومن هذا المنطلق فاللغة لا تمثل أداة تواصل فحسب، بل تمثل ثقافة وحضارة ما. وفي طل الصراع الحضاري والثقافي العالمي تبقى **اللغة** هي الفكر ذاته وليست أداة له، فالفرد المعاصر في المجتمع العالمي عموماً، أو المجتمع الجزائري خصوصاً وإن تعددت لغته، فإنها تبقى تشكل أحد هوياته الأساسية.

وما دامت مسألة الهوية اللغوية من المسائل التي تناولها المفكرون الجزائريون المعاصرون أمثال: (الإمام عبد الحميد بن باديس، البشير الإبراهيمي، مولود قاسم نايت بلقاسم، مصطفى الأشرف، أبو القاسم سعد الله، وأحمد نعمان، وعثمان سعدي...وغيرهم) بالدراسة و التحليل العميق.

فإننا سنقتصر النظر في موضوع هذا البحث عن أعمال كل من "الإمام عبد الحميد بن باديس" و"عثمان سعدي"، كونها من أهم الإنجازات التي تناولت بالدراسة والتحليل موضوع اللغة والهوية في الجزائر.

ومنه تأتي أوراق هاته المقالة بعنوان: اللغة والهوية في الجزائر...أي علاقة ؟ (تأملات في آثار البشير الإبراهيمي وعثمان سعدي) لتجيب على جملة من التساؤلات أهمها:

- ما معنى مفهوم "اللغة"؟ وما المقصود بمصطلح "الهوية"؟
- كيف نظر كل من "الإمام عبد الحميد بن باديس" و"عثمان السعدي" لمسألة الهوية اللغوية في الجزائر، وكيف أصّلا لمسالة العلاقة بينهما في أمتنا الجزائرية؟

2- التأثيل المفاهيمي :

2-1- تحديد مفهوم اللغة:

2-1-1- لغوياً: لغة: (Langage**)** وتعني أيضا لسان، واللغة: من الأسماء الناقصة، وأصلها لُغَوٌ، من لغا إذا تكلم. لغا، اللغو، واللَّغا، واللغوي، ما كان من الكلام غير مَعْقودٍ عليه. أو ما يجرى في الكلام على غير عقدٍ. ولغا: إذا تكلم بالمطرح من القول، وما لا يعني، وألغى إذا أسقط. واللغو: في لسان العرب الكلام من غير المعقود عليه، وجماع اللغو هو الخطأ، ولغا فلان عن الصواب وعن الطريق، إذا مال عنه[1].

2-1-2- اصطلاحاً: لا نكاد نجد مفهوم موحد في اصطلاح العلماء والفلاسفة لتعدد مدلولات مصطلح "اللغة" عندهم:

أ- في اصطلاح الفلاسفة مثلاً : فقد حدد "لالاند" في موسوعته الفلسفية معاني عدة " للغة" نذكرها كما يلي:

- بالمعنى الحقيقي، اللغة وظيفة التعبير اللفظي عن الفكر الداخلي والخارجي.
- كما أن اللغة ترادف اللسان **(**Langue**)**في الماضي، أما حالياً لم تعُد تقال إلا على لغة الشعوب غير المتحضرة، أو على طُرق كلام خاص مثل: لهجة عامية لا تتميز بثبات اللغات الثقافية الكبرى وانتظامها. في المقابل تستعمل اللغة عادة استعمال مُتعارض مع اللسان. وللتفريق بين وظيفة التعبير الذاتي بالكلام عموماً، وبين هذا النظام اللساني أو ذاك، المحدد في مجتمع معين، هكذا يُقام التعارض بين مسألة أصل اللغة عند البشر، ومسألة أصل هذا اللسان أو ذاك، مثل الفرنسية، أو الإنكليزية[2].

كما نجد لها معاني أخرى مثل:

- نظامتعبير لفظي عن الفكر، يتضمن مصطلحاً ونحواً محددين، ثابتين نسبياً، يشكلان مؤسسة اجتماعية مستديمة، تفرض نفسها على سكان بلد، وتظل شبه مستقلة عن إراداتهم الفردية.

كما تعني اللغة أيضاً طريقة الكتابة عند كاتب، أي أسلوب الكلام أو الكتابة لدى جماعة محصورة نسبياً (لغة أرسطو، لغة الديكارتيين، لغة الرياضة).

-واللغة عرضياً، وفي حالات نادرة، يقال مجازاً على منظومات إشارات أو عبارات أخرى غير الكلمات[3].

كما حدد الأستاذ "محمود يعقوبي" في معجمه الفلسفي دلالات أخرى لمصطلح "اللغة": بأنها ملكة لدى البشر يستطيعون التواصل بها فيما بينهم بواسطة نظام من الأصوات يسمى لدى كل قوم منهم، ويرادفها الكلام، أوهي كل نظام من الرموز يتم به التواصل بين البشر طبيعياً كان أم وضعياً[4].

ب- وفي اصطلاح علماء النفس:

اللغة: «وهي عبارة عن رموز تستعمل للتواصل والاتصال»[5]. وكتعريف شامل يمكن أن نقول هي أداة أو وسيلة تعبيرية عن الفكر نطقاً أو كتابةً، حيث تختلف رموزها من مجتمع لآخر، و يرادفها الكلام، وكلاهما يستعمل للتواصل.

2-2- تحديد مفهوم الهوية:

2-2-1- في اللغة العربية: اسم الهوية ليس عربياً في أصله، وإنما أضطر إليه بعض المترجمين؛ فأشتق هذا الاسم من حرف الرباط، أعني يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره، وهو حرف هو في قولهم: زيد حيوان، أو إنسان[6].

كما هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب، والهوية السارية في جميع الموجودات ما إذا أخذ حقيقة الوجود لا بشرط شيء ولا بشرط لا بشيء.

2-2-2- في اللغة الفرنسية: (Identité - Identity –Identitas**) :** هوية هذه الشخصية هو متطابقة، هي فريدة من نوعها، على الرغم من أن العديد من المتصورات من نفس الطريقة. كما تعين وحدة علم النفس للفرد لديها شعور أن تظل مماثلة لنفسها من خلال تنوع الدول لأنه يعلمها الفرد رغم تعدد الموجودات[7].

2-2-3- عند القدماء: للهوية عندهم عدة معان وهي: التشخيص، والشخص نفسه، والوجود الخارجي، قالوا:« ما به الشيء هو هو باعتبار تحققه يسمى حقيقة وذاتا، وباعتبار تشخصه يسمى هوية، وإذا أحذ أكثر من هذا الاعتبار يسمى ماهية، وقد يسمى ما به الشيءهو هو ماهية إذا كان كلياً كماهية الإنسان، وهوية إذا كان جزئياً كحقيقة زيد وحقيقة إذا لم يعتبر كليته وجزئيته»[8]. وقالوا:« الأمر المتعلق من حيث أنه معقول في جواب ما هو يسمى ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة؛ ومن حيث امتيازه عن الأعيان يسمى هوية ومن حيث حمل اللوازم عليه يسمى ذاتاً»[9]، لذلك قيل إن:« الأحق باسم الهوية من كان وجود ذاته من نفسها، وهو المسمى بواجب الوجود؛ والمستلزم للقدم والبقاء»[10].

وقريب من هذا المعنى قولهم: أن الهوية هي الوجود المحض الصريح المستوعب لكل كمال وجدي شهودي، قال الشاعر:

إن الهوية عين ذات الواحد رغم اختلاف قيم الحروف التي
ومن المحال ظهورها في شاهد تتقوم منها كما في العلاقة الجبرية[11].

2-2-4- وللهوية عند المحدثون أربعة معان:

أ- تطلق على الشيء من جهة مما هو واحد كقولنا: أن الشيء الرئيس هو أبو علي أبن سينا، وتسمى هذه الهوية بالهوية العددية **(**Identité numérique**).**

ب- تطلق الهوية على الشخص، أو على الموجود المشتبه بالإنسان، إذا ظل هذا الشخص ذاتاً واحدة رغم التغيرات التي تطرأ عليه في مختلف أوقات وجوده؛ ومنه قولنا: هوية الأنا، وهوية الفاعل وتسمى هذه الهوية بالهوية الشخصية **(** Identité personnelle**).**

ت- الهوية صفة موضوعين من موضوعات الفكر رغم اختلافهما في الزمان والمكان متشابهين في كيفيات واحدة؛ وتسمى هذه بالهوية الكيفية **(**Identité qualitative**)**، أو الهوية النوعية **(**Identité spécifique**).**

ث– والهوية علاقة منطقية بين شيئين متحدين كالهوية الرياضية، والمساواة الجبرية التي تظل صادقة رغم اختلاف قيم الحروف التي تتقوم منها، كما في العلاقات الجبرية بين متساوين؛ التي تدل على وحدة الطرفين ويعبر عن هذه الهوية في المنطق الصوري برمز المساواة =) كما في قولنا : (ب=ب) أو قولنا : الإنسان = حيوان ناطق.

أما في جبر المنطق الصوري فيعبر عن الهوية بهذا الرمز**(** Ξ **)** كما في قولنا **(ب** Ξ **ب)** وهذا أصدق لأن الرمز **(=)** يدل على المساواة في الكم لا على الاتحاد بين الشيئين[12].

2-2-5- وفي الاصطلاح:

نجد تعاريف متعددة لمفهوم الهوية حيث إن الفلاسفة وضعوا عدة مفاهيم منها:

- الهوية: Identité «وهي الوعي بالذات من جميع النواحي»[13].
- الهوية: «مصدر صناعي من كلمة (هو) للدلالة على أن الشيء هو هو وليس غيره، أو بأنه هو لم يصر شيئاً آخر. أو هي الذات الثابتة من خلال تغير أحوالها مثل هوية الأنا»[14].
- قول الفارابي:« هوية الشيء، وعينيته، وتشخصه، وخصوصيته، ووجوده المنفرد له، كل واحد، وقولنا إنه هو إشارة إلى هويته، وخصوصيته، ووجوده المنفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك»[15].

- مصدر صناعي من كاملة (هو) للدلالة على أن الشيء هو هو، وليس غيره؛ أو بأنه هو هو لم يصير شيئا آخر؛ أو هي الذات الثابتة من خلال تغير أحوالها مثل هوية الأنا[16].
- وهناك مصطلح الهوية الجزئية: **(**Identité partielle**)** يطلق اصطلاح الهوية الجزئية عند "لاروميغير" **(** Discours sur l'identité dans le raisonnement Laromi-guière**)** على قسم من العناصر التي يتألف منها الكل المشخص، مادياً كان أو نفسياً .

كما نجد مفهوم أخر هو "فلسفة الهوية " **(** philosophie de L'identité **)** اصطلاح فلسفة الهوية على مذهب (شيلينغ) القائل بوحدة الطبيعة والفكر، ووحدة المثل الأعلى والواقع، وكل فلسفة من هذا القبيل، لأنها تجمع بينهما في وحدة لا تنفصل، وترجعهما إلى شيء واحد هو المطلق[17].

ولقد حدد "خليل أحمد خليل" للهوية معاني مختلفة نذكر منها:

- في التفلسف العربي اللغوي، الهوية هي التشخص نفسه، والوجود الخارجي: وهي وحدة الكائن المطلقة مع ذاته، الهوية هي ماهيته نسبية، بالمقاربة مع هوية الذات الإلهية التي ليس كمثلها شيء.
- في المنطق مبدأ الهوية يعني المثلية (ج=ج)، ويرادف مبدأ اللاتناقض.
- فلسفياً، الهوية لحظة من لحظات الصيرورة الوجودية. إلا أن "ماركس" يؤسس على المادة والمادوّية. "أرسطو" تجنب هذا المأزق، ففرق بين الفعل وقوة الفعل أو الاستطاعة، بين المادة الجوهرية والأغراض (الصيرورة)، بين الثابت والمتحول.
- التماهي (Identification)اقتران علامة فارقة بذات مدلول عليها، هوية الشخص= حالته المدنية. تماهيه=هويته بالنسبة إلى رموز أخرى. في علم النفس مسار استبطان اجتياف (Introjectons)، استدخال الشخص) ليس لشيء آخر، والتصرف بمقتضاه[18].

وكتعريف جامع مما سبق يمكن القول بأن الهوية اسم ليس عربياً في أصله، وإنما أضطر إليه نتيجة الترجمة فاشتق من حرف الرباط هو، والهوية تعني الوجود، أي وجود الذات من نفسها، كما تعني أن الشيء هو هو وليس غيره.

2- رؤى الإمام عبد الحميد بن باديس لمسألة الهوية اللغوية في الجزائر:

2-1- أصول هوية الأمة الجزائرية عند الإمام بن باديس: إذا كان الغرض من تأسيس الجمعية هو نشر الأخلاق الفاضلة، والمعارف الدينية، والعربية والصنائع اليدوية بين أبناء وبنات المسلمين، وبينت المادة الثالثة من ميثاق تأسيس الجمعية الوسائل لذلك مثل: تأسيس مكتب التعليم، ملجأ للإيتام، نادي للمحاضرات، معمل للصنائع، إرسال التلاميذ على نفقتها إلى الكليات والمعامل الكبرى[19]. فإن تعليم اللغة العربية من أول الأصول التي تتأسس عليها الجمعية كونها تمثل الأساس الأول للحفاظ على هوية الأمة الجزائرية في اعتقاد الإمام عبد الحميد ابن باديس.

2-1-1- اللغة العربية: تعد اللغة العربية إلى جانب مقوم الدين من أهم المقومات التي ترتبط بها الهوية الجزائرية ارتباطاً وثيقاً هذا وإن روج البعض إلى تصادم اللغات داخل الأمة الواحدة ومنها الجزائر، فإن الإمام من الذين رأوا هنا تعايش بين اللغات في الجزائر انطلاقاً من عدم إنكار الأصل البربري الأمازيغي للشعب الجزائري، مع العلم أن الأمازيغ دخلوا إلى الإسلام طواعية وتعلموا اللغة العربية، إذ وقع تمازج بين العرب والأمازيغ، إذ أصبحوا شعباً واحداً «متخذاً غاية الاتحاد ممتزجاً غاية الامتزاج، وأي افتراق يبقى بعد أن أتحد الفؤاد واتحد اللسان»[20].

كما يؤكد "ابن باديس" أن الأمة وليدة هذه الوحدة اللغوية في قوله: «تكاد لا تخلص أمة من الأمم لا تتكلم بلسان واحد فليس الذي يكون الأمة ويربط أجزاءها ويوحد شعورها ويوجهها إلى غاية هو هبوطها من سلالة واحدة، وإنما الذي يفعل ذلك هو تكلمها بلسان واحد(...)فالفرق عظيم بين الدم واللغة في توحيد الأمم»[21]. "فابن باديس" هنا يوازي بين مفهوم الإسلام واللغة ويعتبرها على نفس الدرجة. وهذا ما يؤكده كلام الباحث "عبد الكريم غلاب": «فاللغة مجاورة للدين كأساس للهوية»[22]. ويقول

"مصطفى الرافعي" «باللغة والدين ينحصر الشعب في ذاته السامية بخصائصها ومقوماتها، فلا يسهل انتزاعه منها ولا انتسافه من تاريخه، وإذا ألجئ إلى حال من القهر لم ينخذل ولم يتضعضع»[23].

فموقف "ابن باديس"إزاء مقاومة الاستعمار للتعليم بالعربية كان واضحاً إذ رد على ذلك قائلاً: «إننا نعلن لخصوم الإسلام والعربية عقدنا على المقاومة المشروعة وسنمضي بحول الله في تعليم ديننا ولغتنا رغم كل ما يصيبنا ولن يصدنا عن ذلك شيء، فنكون قد شاركنا في قتلهما بأيدينا وأننا على يقين من أن العاقبة –وإن طال البلاء- لنا وأن النصر سيكون حليفنا»[24].

2-1-2- الوطنية وحب الوطن: لقد أقر الرئيس الأول لجمعية علماء المسلمين "عبد الحميد بن باديس" أن «الأمة الجزائرية ليست فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كالبعد في لغتها وفي أخلاقها، وفي عنصرها وفي دينها، لا تريد أن تندمج»[25]. ولقد أكد "ابن باديس" بأن حب الوطن «قبل كل شيء»[26]، وإن خلاصة حياته كانت الجزائر من خلال قوله: «لمن أعيش أنا، أعيش للإسلام وللجزائر».

ويضيف عن انتمائه للوطن الجزائر قائلاً: «وأنا أشعر بأن كل مقومات الشخصية مستمدة منه مباشرة فأرى من الواجب أن تكون خدماتي أو ما تتصل بشيء تتصل به مباشرة، وكما أنني كلما أردت عملاً وجدتني في حاجة إليه، إلى رجاله وإلى ماله، وإلى آلامه وآماله»[27].

3- مقومات ومواقف ضرورية للحفاظ على هوية الأمة الجزائرية عند ابن باديس:

3-1- تعليم المرأة: أكد "بن باديس" على ما للمرأة من وظيفة اجتماعية وتربوية عظيمة حيث أوجبت تعليمها ونصح بتكوينها تكويناً يقوم على أساس العفة وحسن تدبير المنزل، والنفقة والشفقة على الأولاد، وحسن تربيتهم، كما أنه حمل مسؤولية جهل المرأة الجزائرية أولياءها والعلماء الذين يجب عليهم أن يُعلموا الأمة رجالها ونساءها وقرر أنهم آثمون إثماً كبيراً إذا فرطوا في هذا الواجب[28]. لأن هذا ما تؤكد عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة. هذا ويؤكد على حق النساء في التعليم والكتابة بقوله: «يجب علينا أن نكمل النساء تكميلًا دينيًا يهيئهن للنهوض بالقسم الداخلي من الحياة وإعداد الكاملين ومساعدتهم للنهوض بالقسم الخارجي منها، وبذلك تنتظم الحياة انتظامًا طبيعيًا تبلغ به الإنسانية سعادتها وكمالها»[29].

3-2- الإيمان والتقوى كعلاج لأي أزمة: إن «الإيمان والتقوى هما العلاج الوحيد لنا من حالتنا لأننا إذا إلتزمناهما قد أقلعنا عن أسباب العذاب ولا ننهض بهذا العلاج العظيم إلا إذا قمنا متعاونين أفراداً وجماعات، فجعل كل واحد ذلك نثب عينه وبآدابه في نفسه، ثم في من إليه ثم في من يليه من عشيرته وقومه، ثم جميع أهل ملته»[30]. فهذا ما يجعلنا نستشعر أخوة الإيمان التي تجعلنا كجسد واحد.

3-3- قيمة الفرد بقيمة قومه: «أن الأمة التي لا تحترم مقوماتها من جنسها ولغتها ودينها وتاريخها لا تعد أمة بين الأمم، ولا ينظر إليها إلا بعين الاحتقار مع القضاء عليها في ميادين الحياة بتقهقر والاندحار، وأن الفرد الذي لا يحافظ على ذلك من أمته لتأخرها في سير الزمان بما أحاط بها من ظروف الحياة وإن تحلى بأعظم وأحسن ما يتحلى به الراقون من أمة أخرى لا ينظر إليه إلا بالعين التي ينظر بها إلى أمته»[31].

3-4- تعلم اللغات للحاجة أو للمصلحة العلمية أو الصحية أو الاقتصادية: أن تعلم اللغات المحتاج إليها يعتبره "ابن باديس" من السنة «فعلى القوم المترابطين بالمصلحة أن يفهموا بعضهم لغة بعض وخطه، وبقدر ما تكثر الأقوام المترابطة بالمصلحة تكثر اللغات والخطوط ويلزم تعلمها، لأن العلة هي الحاجة»[32]. لأن المصلحة من حيث هي مصلحة محتاج إلى تحصيلها.

3-5- الحفاظ على المبادئ السياسية: «حافظ على مبادئك السياسية ولا سياسة لك إلا سياسة الارتباط بفرنسا، والقيام بالواجبات اللازمة لجميع ابنائها والسعي لنيل جميع حقوقهم فتمسك بفرانسة العدالة والأخوة والمساواة، فإن مستقبلك مرتبط بها»[33]. هذه تقية من ابن باديس لأنه يؤمن بأن الشعب الجزائر سيستقل عن فرنسا متى حان الوقت، وقد حان وتحقق[34].

4- المواقف التي تؤصل لعلاقة اللغة بالهوية في الجزائر عند ابن باديس:

أ- أعيش للإسلام وللجزائر: وهذا ربطه ابن باديس بدور المؤسسة الدينية، فلقد صارت حاجة المسلمين إلى التعليم المسجدي (التعليم الديني) حاجتهم إلى الإسلام وصار إعراضهم عنه هو إعراض عن الإسلام وهجر له، ما انتهى المسلمون اليوم إلى ما انتهوا إلا بذلك الهجر وذلك الإعراض، ولن يرجى لهم شيء من السعادة الإسلامية إلا إذا أقبلوا على التعليم الديني فأقاموه في مساجدهم كما يقيمون الصلاة وكما أن النبي - صلى الله عليه وسلم- يفعل من إقامتهما بمسجده كما تقدم[35]. «الإسلام أنه دين الإنسانية الذي لا نجاة لها ولا سعادة إلا به، وإن خدمتها لا تكون إلا على أصوله، وإن ايصال النفع إليها لا يكون إلا من طريقه فعهدنا الله على أن نقف حياتنا على خدمته ونشر هدايته، وخدمة كل ما هو سبيله ومن ناحيته، فإذا عشت له فإني أعيش للإنسانية لخيرها وسعادتها، في جميع أجناسها وأوطانها، وفي جميع مظاهر عاطفتها وتفكيرها، وما كنا لنكون هكذا إلا بالإسلام الذي ندين به ونعيش له ونعمل من أجله»[36]. أما عن الجزائر يقول: «فهي وطني الخاص الذي تربطني بأهله روابط من الماضي والحاضر والمستقبل بوجه خاص، وتفرض على تلك الروابط لأجله –كجزء منه- فروضاً خاصة وأن أشعر بكل مقوماتي الشخصية مستمدة منه مباشرة»[37].

ب- وأقرب الأوطان لوطننا الجزائر إلينا هو المغرب الأدنى والمغرب الأقصى: اللذان ما هما والمغرب الأوسط إلا وطن واحد لغة وعقيدة وآدابًا وأخلاقًا وتاريخًا ومصلحةً ثم الوطن العربي والإسلامي ثم وطن الإنسانية العام[38].

ت- نشر الثقافة باللسانيين بين أبناء الجزائر: لأن شعب الجزائر حُرم من تعلم اللغة العربية، لأنها لغة الدين الذي هو أساس حياتنا ومنبع سعادتنا فحين لم يحرم من تعلم اللغة الفرنسية التي هي سبيلنا إلى آداب الغرب وعلومه وفنونه وفهمه من جميع الجهات، لذا لا بد من أن يتعلم كل من الشعبين الجزائري والفرنسي لغة صاحبه حتى يتفاهما ويتكارما ويتناصفا ويتآلفا، وهذا ما يعبر عن الوئام والسلام بين الأمم وثقافتها، لذا فإن احترام الأمة الجزائرية المسلمة في دينها ولغة دينها يقتضي منا النهضة العلمية والدينية للأمة الجزائرية العربية المسلمة.

ومن هذا نؤكد عن المواقف الحامية والقوية التي تميز بها ابن باديس في دفاعه عن الهوية اللغوية في الجزائر، إذ قيل: «لقد كان ابن باديس مناظرًا مفحمًا، ومربيًا بناء، ومؤمنًا متحمسًا، وصوفيًا والهـ ًا ومجتهدًا يرجع إلى أصول الإيمان المذهبية، ويفكر في التوفيق بين هذه الأصول توفيقًا عزب عن الأنظار أبان العصور الأخيرة للتفكير الإسلامي، وهو كذلك وطني مؤمن تصدى عام 1936م لزعيم سياسي نشر مقالاً عنوانه "أنا فرنسا"فرد عليه رداً حامياً قوياً »[39].

5- رؤى عثمان سعدي لمسألة الهوية اللغوية في الجزائر:

في البدء كانت اللغة أهم من الثورة، أي ثورة لا يمكن أن تعتبر ناجحة إلا إذا حققت هدفين: تحرر الأرض وتحرير الذات والباحث "عثمان سعدي" يعتبر الثورة الفيتنامية كذلك لكونها حررت الأرض والذات «بفرض سيادة اللغة الفيتنامية على الحياة الفيتنامية وإلغاء اللغة الفرنسة التي سيطرت على الفيتنام ثلاثة وثمانين سنة والقضاء على الرواسب التي خلفتها في النفس الفيتنامية واعتماد اللغة الانجليزية كلغة أجنبية انطلاقاً من وصايا قائد الفيتنام "هوشي منيه"»[40].

عكس الثورة الجزائرية التي انطلقت معتمدة في سنواتها الثلاث الأولى اللغة الوطنية، حيث عمل الجنود المؤطرين لطلاب العلم تعليمهم اللغة العربية وبعد ثمانية عشر سنة من اندلاع الثورة قرر طلاب المدارس الفرنسية ترك الدراسة والالتحاق بالثورة بالقاهرة وسيلتهم في ذلك اللغة الفرنسية ولم يفكروا في تعلم العربية لكنهم تعلموا الانجليزية وهم بالقاهرة.

وهذا كان سببًا مباشرًا في تحويل قادة الجزائر أنذاك الثورة الجزائرية من ثورة جزائرية إلى ثورة فرنكوفونية عكس قادة الفيتناميون الذين كانوا يحسنون الفرنسية ومنهم من عاشوا بفرنسا ودرس بالفرنسية لكنهم تخلوا عنها وثبتوا لغتهم، وما يدل على صحة هذا الكلام السابق في المقارنة هو أن الجزائريون أعلنوا انحرافهم اللغوي منذ توقيع اتفاقية "إيفيان" بنص واحد وهو النص الفرنسي الذي مثل الوفدين، بينما وقع الفيتناميون اتفاقية "جنيف"1954م التي أنهت الاستعمار الفرنسي بنصيين فيتنامي مثل الوفد الفيتنامي وفرنسي مثل الوفد الفرنسي، ثم دخلوا هؤلاء الطلاب إلى الجزائر في مارس 1962م فأسسوا الدولة الفرنكفونية التي خانت الشهداء وأفلست الجزائر اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً[41].

فمما سبق يمكن القول أن الباحث "عثمان السعدي" حاول في مؤلف (اللغة والهوية بين الثورة الجزائرية والثورة الفيتنامية) الإجابة عن السؤال القائل:

-كيف تعامل الفيتناميون مع لغتهم فعمموها وألغوا الفرنسية فأخلصوا لثورتهم، وكيف تعامل الجزائريون مع لغتهم فهمشوها وعمموا الفرنسية فخانوا ثورتهم؟

فاللغة الوطنية كمقوم للأمة تعتبر عنصر هام لتوحيد الشعب، فاللغوي لا ينبغي أن يوصف بالوطني الضيق أو المتعصب الشوفيني إذا كان يقول عن لغته بأنها أجمل وأكمل لغة في العالم، لأن أي مواطن غير مستأصل من جذوره الوطنية لا بد أن يحب وطنه أكثر من جميع الأوطان وأن يعتبر لغته القومية أجمل لغة وأكملها في العالم[42].

6- مقارنة بين الثورة الجزائرية وثورة الفيتنام ومواقفهما من سؤال اللغة:

لقد حقق الفيتناميون بالفتنمة تنمية اقتصادية واجتماعية ناجحة بينما فشل الجزائريون بالفرنسة في تحقيق التنمية حيث ألغى الفيتناميون الفرنسية التي سيطرت على حياتهم لأكثر من ثمانين سنة. وعن التنمية في الجزائر يمكن أن تشخص أمامنا من خلال مقارنة التنمية بين الجزائر وكوريا مثلاً ففي سنة 1962م كانت الجزائر سابقة عن كوريا بخمسين سنة في ميدان البنية التحتية، والآن وبعد مرور خمسين سنة من استقلال الجزائر إين هي كوريا من ناحية التقدم وأين هي الجزائر المستقلة التي ورثت بنية أساسية متطورة أما الفيتنام فانتهت فيها الحروب سنة 1975م مخلفة تدميرًا كاملًا للبنية الأساسية. فالفيتنام بالفتنمة صدرت خارج المحروقات مواد زراعية وصناعية بما قيمته 34 مليار دولار، بينما صدرت الجزائر بالفرنسية خارج المحروقات ما قيمته ملياران من الدولارات فقط وجل موادها الأولية مستوردة بالعملة مثل الزيت والسكر، كما يتمتع الفيتنام باكتفاء غذائي شبه كامل بينما تستورد الجزائر معظم استهلاكها من الحليب وغيره من المواد الغذائية، وأي بلد يقاس بما ينتج وليس كيف ينطق الراء غينًا[43].

وهذا يؤكد أن تنمية أي بلد لا تتم إلا بلغته القومية مثل:(الصين وكوريا واليابان وأندنوسيا وغيرها).

وكوريا هي أيضًا منيت باستعمار ياباني غاشم دام أربعين سنة ألغى اللغة الكورية وفرض لغته لكن بمجرد استقلال كوريا سنة 1965م صدر أمر بالكورنة حيث كانت المدارس كلها تعلم اليابانية فصارت تعلم بالكورية منذ الاستقلال حيث صدر مرسوم في أول عدد للجريدة الرسمية منع على الكورين التحدث فيما بينهم باللغة اليابانية، فالشرطي إذا سمع الكوري يتحدث باليابانية يلقي القبض عله ويسوقه للسجن[44].

حيث بين وزير التربية الفيتنامي "تغويين فان هوين" أن مقوم اللغة هو الفارق بين الفيتنام الشمالي والجنوبي، فالجنوبي حكم بواسطة حكم غير وطن حكم عميل للأمريكان، ولهذا يرى الفئة الحاكمة تعمل على إبقاء اللغة الأجنبية سائدة في التعليم العالي[45].

- فلماذا لم تنتصر اللغة العربية بالجزائر عكس الفتنمة أو الكورنة؟

ترجع اسباب فشل العربنة في الجزائر إلى أسباب متعددة يأتي على ذكرها الباحث "عثمان سعدي" نختصر هنا فيما يلي:

أ- أن قادة الثورة الفيتنامية بنوا ثورتهم على قاعدة واضحة محددة وهي لا ثورة بدون لغة وطنية، ولا انتصار للثورة الفيتنامية إذا لم تنتصر اللغة الفيتنامية[46]. فارتبط الاستقلال باللغة في الفيتنام بينما. أما عندنا يعتبر استقلال شكلي كونه بدل جنود الاستعمار بجنود يحملون أسماء وطنية ورايته براية وطنية، لكن المضمون الحقيقي للثورة أي الاستقلال فهو تحقيق مقومات الشخصية الوطنية التي تجعل المواطن بوطنه وبتراثه القومي[47].

ب- أن اللغة شيء مقدس لدى الفيتناميون عكس الجزائريون، فمن المعروف أن الفيتناميين شيوعيون ويقال عن الشيوعين أنهم ناس بعيدون عن الروحيات ليس لهم قديسون ولا مقدسات، لكن عندما يتحدث الفيتناميون عن لغتهم الوطنية يعتبرونها لغة

مقدسة يقول: «"ترات هيوتيك" – الرئيس المساعد- للجمعية العامة للطب: أن اللغة القومية مقدسة ينبغي أن تكون هي لغة التعليم العالي في بلد يتمتع باستقلال حقيقي في بلد ذي سيادة حر وديمقراطي، هذا هي الحقيقة الواضحة»[48].

7- موقف عثمان سعدي من العلاقة بين اللغة والهوية في أمتنا الجزائر:

إن هناك صعوبة في إعداد شعب وجيش متعلم ومتطور بلغة بلد آخر من حيث الوقت والتكاليف ونشر العلوم والتقنية بين الجماهيرية بسرعة وعلى نطاق واسع خصوصاً بالمدارس، فأي لغة يتعلم بها الجيش والمواطن الجزائري؟ فالفيتناميون يرون أن المواطن الذي يحب وطنه لا يمكن أن يرضى التحدث بلغة أجنبية عنه، ومن خالف هذه الحقيقة فهو وطني مزعوم، وثوري مزيف يقول السيد" نغويين فان هوين" –وزير التربية-: «كيف يمكن لمواطنين يعيشون في بلد واحد ويقولون بأنهم يحبون الأرض التي ولد فيها، ويتحدثون عن كبريائهم الوطني، في نفس الوقت يتكلمون فيما بينهم بلغة أجنبية، ويربون ويعلمون أولادهم بلغة أجنبية ليس لها أي علاقة لا بتقاليد الثقافة الوطنية ولا بخصائصها ولا بأفكار الشعب ومشاعره»[49]. والعكس يرى أعداء التعريب في الجزائر أن «اللغة لا تعدو أداة شكلية لنقل الأفكار والنظريات وهو زعم خطأ»[50].

ومن الحجج التي يرفعها أعداء التعريب الجزائر:

- أن اللغة العربية لم تبلغ المستوى الذي يمكنها من التعبير عن المعارف العلمية الحديثة، وأن اللغة لا تعدو أن تكون مجرد وسيلة، بينما الهم هو مستوى العلوم...وأن استعمال العربية يخفض من مستوى العلم ويتسبب في صعوبة التعليم والدراسة.

- إن اللغة العربية غنية في الآداب فقيرة في العلوم والتقنية[51]. حيث يحاول أعداء التعريب وخصومه أن يوهمونا بأن مستوى الثقافة والعلم والتقنية سينخفض انخفاضًا مريعًا إذا ما عرب التعليم، لكن لو رجعنا إلى التجربة الفيتنامية لوجدنا بعد فتنمة الطب والتعليم التقني نتيجة استعمال اللغة الوطنية في التعلم العالي مكن عمال وموظفون لم يتمكنوا من انهاء تعليمهم الثانوي خلال عهد الاستعمار استطاعوا أن يتخرجوا كمهندسين بالمراسلة[52].

لا بد من أن تُعلم الجامعة باللغة القومية و إلا سرعان ما تعد إطارات مفصولة التفكير عن واقعها، وهذا ما سيعود على تنمية بلدها بالسلب في جميع المجالات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، «لأن الجامعة التي تُعلم بلغة أجنبية سرعان ما تتحول إلى جزيرة معزولة عن الشعب، تعد إطارات بعيدة الواقع»[53]. لأن المستعمرون سواء القدماء منهم أو الجدد يستهدفون بنشر لغتهم إلى استعباد الشعوب واستغلالها وبرط تفكيرها بعجلتهم إلى الأبد.

إن العلوم تستوعب من طرف المواطن بطريقة أفضل عندما تكون لغتها اللغة الوطنية، ولو أخذنا مثالاً عن ذلك فتنمة كلية الطب في الفيتنام هذا في العالم الغربي، وفي العالم العربي يمكن الإشارة إلى الأردن كأنموذج في الطب، والعكس عندنا في الجزائر لا يزال الطب يدرس باللغة الأجنبية، رغم أن الطبيب الحر هو من يتكلم ويحرر ملاحظاته ووصفاته باللغة الوطنية وليس باللغة الأجنبية، فالأطباء الفيتناميون رغم أنهم درسوا باللغة الأجنبية في الجامعات الغربية لكنهم درسوا الطب باللغة الوطنية في جامعاتهم، لكن الطبيب في كلية الطب عندنا لا يزال يدرس ويحرر وصفاته باللغة الأجنبية[54].

8- الخلاصة:

ما يمكن أن نقوله في ختام هذا المقال إن اللغة هي أداة أو وسيلة تعبيرية عن الفكر نطقًا أو كتابةً، حيث تختلف رموزها من مجتمع لآخر، و يرادفها الكلام، وكلاهما يستعمل للتواصل بين البشر طبيعيًا كان أم وضعيًا. في حين أن الهوية ليست اسم عربي في أصله، وإنما أضطر الفكر العربي الإسلامي لاستعماله نتيجة الترجمة، والهوية تعني الوجود، أو هي الوعي بالذات من جميع النواحي، وبأن الشيء هو هو وليس غيره.

إن كل من المفكرين الجزائرين ابن باديس، عثمان سعدي قد أجمعا على الأصول الثلاثة كمقومات للهوية الجزائرية وهي: (اللغة العربية- الدين الإسلامي- الوطن أو الوطنية)، كما دافعا عن الهوية اللغوية مؤكدين إمكانية استقرار سياسي لأمتنا في ظل تعدد لغاتها ولهجاتها، وهذا إلى جانب مقوم الدين الإسلامي باعتبار أن أهل هاته المنطقة دخلوا إلى الإسلام

طواعية وتعلموا اللغة العربية بمحبة، ولأن الأمة الجزائرية كانت نتيجة الوحدة اللغوية بين هاته اللغات من خلال مقاومة الاستعمار وأعداء العربية، مع تأكيدهم كلهم على تعلم اللغات الأجنبية نتيجة حث الإسلام كديانة إنسانية والسنة النبوية على ذلك.

ومن هذا كله يتأكد عندنا أن تلاقح هاته المقومات الأربعة (اللغة العربية- الديني الإسلامي- الوطن الجزائر- بالإضافة إلى البعد التاريخ المتمثل في التاريخ المشترك) هو ما يشكل شخصية وهوية الأمة أو الدولة الجزائرية. إلا أن السؤال يبقى قائماً حول علاقة اللغة العربية بصراع العقائد في الجزائر ومدى انعكاس هذا على شخصية الجزائر الدولية وهويتها الوطنية والإقليمية؟ إن لم نقل على شخصية أو هوية المواطن أو الفرد، سواء أكان طفلاً أو رجلاً أو امرأةً ؟ إذن فما هي شروط تأسيس نظرية حضارية في الجزائر بعيدة عن الصراع بين دعاة العربنة ودعاة الفرنسة؟

- **الإحالات والمراجع :**

1. ابن منظور، (1119)، **لسان العرب**، دون طبعة، مصر: دار المعارف، ص4050.
2. ندريه لالاند، (2001)، **موسوعة لالاند الفلسفية**، مج2، تر: خليل أحمد، تع، وإشر: أحمد عويدات، الطبعة الثانية، باريس: منشورات عويدات، ص721.
3. المرجع نفسه، ص722.
4. محمود يعقوبي، (1998)، **معجم الفلسفة وأهم المصطلحات وأشهر الأعلام**، الطبعة الثانية، الجزائر: الميزان للنشر والتوزيع، ص150.
5. جابري لمياء، (2006)، **معجم مصطلحات علم النفس**، دون طبعة، الجزائر: دار الخلدونية للنشر والتوزيع، ص115.
6. ابن رشد، (1942)، **تفسير ما بعد الطبيعة**، ج2، تر: موريس بويج، دون طبعة، بيروت : المطبعة الكاثوليكية، ص557.
7. Gérard Durozoi-André Roussel, (2003), **Dictionnaire de philosophie**, Nathan, Imprime en France par I.M.E, P.195.
8. جميل صليبا، (1982)، **المعجم الفلسفي**، ج2، دون طبعة، لبنان: دار الكتاب اللبناني، ص530.
9. جميل صليبا، (1982)، **المعجم الفلسفي**، ج2، ص 530.
10. جميل صليبا، (1982)، **المعجم الفلسفي**، ج2، ص530.
11. جميل صليبا، (1982)، **المعجم الفلسفي**، ج2، ص(529-532).
12. جميل صليبا (1982)، **المعجم الفلسفي**،ج2، ص529 وما بعدها.
13. جابري لمياء (2006)، **معجم مصطلحات علم النفس**، ص99.
14. محمود يعقوبي، (1998)، **معجم الفلسفة وأهم المصطلحات وأشهر الأعلام**، ص174.
15. جميل صليبا (1982)، **المعجم الفلسفي**،ج2، ص529.
16. محمود يعقوبي، (1973)، **معجم الفلسفة**، الطبعة الثانية، الجزائر: الميزان للنشر والتوزيع، ص174.
17. جميل صليبا (1982)، المعجم الفلسفي،ج2، ص532.
18. خليل أحمد خليل (1995)، **معجم المصطلحات الفلسفية**، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفكر اللبناني، ص201.
19. عمار الطالبي (1997)، **آثار ابن باديس، ج1**، الطبعة لثالثة، الجزائر : الشركة الجزائرية لصاحبها الحاج عبد القادر بوداود، ص114.
20. عمار الطالبي (1997)، **آثار ابن باديس، ج3**، الطبعة الثالثة، الجزائر : الشركة الجزائرية لصاحبها الحاج عبد القادر بوداود، ص484.
21. عمار الطالبي (1997)، **آثار ابن باديس، ج4**، الطبعة الثالثة، الجزائر : الشركة الجزائرية لصاحبها الحاج عبد القادر بوداود، ص20.
22. عبد الكريم غلاب (1998)، **أزمة المفاهيم وانحراف التفكير**، سلسلة الثقافة القومية العدد33، الطبعة الأولى، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، ص 40.

23. مصطفى صادق الرافعي (د س)، **وحي القلم**، ج1، مر: درويش الجويدي، دون طبعة، بيروت : المكتبة العصرية، ص37.
24. عمار طالبي (1997)، **آثار ابن باديس، ج1**، ص(119-120).
25. عمار طالبي (1997)، **آثار ابن باديس، ج3**، ص383.
26. عمار طالبي (1997)، **آثار ابن باديس، ج3**، ص368.
27. عمار طالبي (1997)، **آثار ابن باديس، ج3**، ص336.
28. عمار طالبي (1997)، **آثار ابن باديس، ج1**، ص118.
29. عمار طالبي (1997)، **آثار ابن باديس، ج2**، ص211.
30. عمار طالبي (1997)، **آثار ابن باديس، ج2**، ص300.
31. عمار طالبي (1997)، **آثار ابن باديس، ج2**، ص229.
32. عمار طالبي (1997)، **آثار ابن باديس، ج2**، ص232.
33. عمار طالبي (1997)، **آثار ابن باديس، مج2**، ج1، ص52.
34. عمار طالبي (1997)، **آثار ابن باديس، مج2**، ج1، ص179.
35. عمار طالبي (1997)، **آثار ابن باديس، ج1**، ص266.
36. عمار طالبي (1997)، **آثار ابن باديس، ج1**، ص632.
37. عمار طالبي (1997)، **آثار ابن باديس، ج1**، ص236.
38. عمار طالبي (1997)، **آثار ابن باديس، ج1**، ص237.
39. عمار طالبي (1997)، **آثار ابن باديس، ج2**، ص10.
40. عثمان سعدي (2014)، **اللغة والهوية بين الثورة الجزائرية والثورة الفيتنامية**، الطبعة الأولى، الجزائر : دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ص (5،6)
41. عثمان سعدي (2014)، **اللغة والهوية بين الثورة الجزائرية والثورة الفيتنامية**، ص6.
42. عثمان سعدي (2014)، **اللغة والهوية بين الثورة الجزائرية والثورة الفيتنامية**، ص(31-33).
43. عثمان سعدي (2014)، **اللغة والهوية بين الثورة الجزائرية والثورة الفيتنامية**، ص(8-9).
44. عثمان سعدي (2014)، **اللغة والهوية بين الثورة الجزائرية والثورة الفيتنامية**، ص(7-8).
45. عثمان سعدي (2014)، **اللغة والهوية بين الثورة الجزائرية والثورة الفيتنامية**، ص(7-8).
46. عثمان سعدي (2014)، **اللغة والهوية بين الثورة الجزائرية والثورة الفيتنامية**، ص15.
47. عثمان سعدي (2014)، **اللغة والهوية بين الثورة الجزائرية والثورة الفيتنامية**، ص16.
48. عثمان سعدي (2014)، **اللغة والهوية بين الثورة الجزائرية والثورة الفيتنامية**، ص54.
49. عثمان سعدي (2014)، **اللغة والهوية بين الثورة الجزائرية والثورة الفيتنامية**، ص22.
50. عثمان سعدي (2014)، **اللغة والهوية بين الثورة الجزائرية والثورة الفيتنامية**، ص22.
51. عثمان سعدي (2014)، **اللغة والهوية بين الثورة الجزائرية والثورة الفيتنامية**، ص(24-25).
52. عثمان سعدي (2014)، **اللغة والهوية بين الثورة الجزائرية والثورة الفيتنامية**، ص58.
53. عثمان سعدي (2014)، **اللغة والهوية بين الثورة الجزائرية والثورة الفيتنامية**، ص49.
54. عثمان سعدي (2014)، **اللغة والهوية بين الثورة الجزائرية والثورة الفيتنامية**، ص52.

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

ناجم مولاي ، (2022)، **اللغة والهوية في الجزائر...أي علاقة** (تأملات في آثار الإمام عبد الحميد بن باديس وعثمان سعدي) ، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المجلد 14(01)/ 2022، الجزائر : جامعة قاصدي مرباح ورقلة (ص.ص 177-186).